البحوث

محمد رسول الله

للدكتور حسن ابراهيم

ما ذُبْتُ شَوْقاً لِجيران بِذِى سَلَمِ ... ولا أَرِقْتُ لِذكْرِ البـــانِ والعَلَمِ
ومَا أَبَحْتُ لِرِيم القَاع سفكَ دَمِى ... فى الأَشْهر الحِلِّ أَو فى الأَشْهر الحُرُم
وما سعادُ إِذا بانَتْ بمَتْبـــلَة ... مِنى الفـــؤَادَ فإِنَّ القَلبَ فى شَبَمِ
إِنى اتجهتُ بقلبى نحوَ بَارِئِـــهِ ... من مطلع الفجْرِ حتَّى غَيْهَبِ الظُّلَمِ
وسيدى المصطفى أَرجُـــو شفاعَتَه ... وَهْـــوَ الشفيعُ لنا من زَلَّةِ القَدَمِ
إِن المَشِيبَ عَلانِى فاتَّعظتُ بهِ ... وكمْ أَرَقْتُ لوِزْرِى عبرةَ النَّدَمِ
محمدٌ عَرَكَ الدنْيا بما حَفَلَت ... من الشقاوَةِ والنُّعمَى ومن غُمَمِ
جاءَ الحياةَ يَتِيماً قَبْـــل مولدِهِ ... وفى الطفولةِ عانَى شِقْوةَ اللَّطَمِ
فعاشَ مَعْ جَدِّهِ حِيناً وفى كَنَفِ ... لعَمِّه والعُرَى موصُولةُ الرَّحِمِ
وحين شَبَّ رَعَى للقوْم شاتَهمُ ... كلُّ النبيين قد هَشُّوا على الغَنَمِ
وسار بالعير والأَمْـــوالِ مُتَّجِرًا ... وَهُـــوَ الأَمينُ على قوم ومالِهِمِ
وهو المُصَدَّقُ فى قولٍ وفى عَمل ... فصار يُكْنَى أَمِيناً وهو خَيْر سَمِى
وصار يَعْجَب مِنْ قوم فَدِينُهمُ ... تَوارَثُوه عن الآبـــاءِ مِنْ قِـــدَمِ
أَيَنْحَتُ الناسُ من أَحجارِهم صَنَماً ... ويسْجدون خُشوعاً خَشْية الصَّنَمِ
وكيْف يحْكم صَلْدٌ لا جَنانَ له ... مسِيرةَ الكَوْن والأَجرام والسُدمِ
وكيف يَخْلُق هذا المسخُ مقتدِرًا ... إِنساً وَقَدْ خَلَقَتْهُ الإِنْسُ بالقُدُمِ

(*) ألقيت هذه القصيدة فى الجلسة الثانية لمؤتمر مجمع اللغة العربية فى الدورة الخامسة والأربعين (الثلاثاء ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٩٩ هـ ، الموافق ٢٧ من فبراير سنة ١٩٧٩ م) .

فما تَعَبَّد فى يَوْم إلى وَثَـنٍ وَلَمْ يُشَارك بقُربانٍ وَلَمْ يَهِمِ .
بَلْ رَاحَ للغارِ يَصْفُو فى تأَمُّلِهِ وكم تَغَيَّبَ نَجمٌ وهو لم يَنَمِ
تأَمَّلَ الفَجْرَ يبدُو والحياةَ معاً وكيف تحيا مَواتُ الأَرض بالدِّيَمِ
وتُشرقُ الشمْسُ للأَحْيَاءِ جالِبَةً دِفْءَ الحياةِ وَيَسْرِى البدرُ فى الغَسَمِ
وهذه الشُّمُّ مَن أَرْسَى دعائِمَها فزاحَمت شُهبَ الأَفْلاكِ من شَمَمِ
مَنْ خَالقُ الرُّوحِ والإِنْسانِ هلْ خُلِقَا سُدىً وماذا وراءَ الموْتِ منْ حِكَمِ
جاءَ الجوابُ بِجُنْحِ الليلِ فاخْتَلَجَت له العُروشُ وكان الفَجْرَ للأُمم
جبريلُ فى الغارِ قال اقرأْ مُدَوِّيَةً فَقَالَ كَيْفَ وَمَا عُلِّمْتُ بالقَلَمِ
فَغَطَّه ثم قال اقرَأْ فَرَدَّدَهـا فـكان أَولَ تنزيلٍ من الكَلِمِ
وأَصْبح الهَدْىُ يَسْرِى كلَّ ناحِيَةٍ كالنورِ فى الليْلِ أَو كالْبُرْءِ فى السَّقَمِ
أَن اُعْبدُوا اللهَ ربَّ الخلقِ كُلِّهِم وفاطِرَ الكوْنِ والدنْيا مِنَ العَدَم
الواحدُ الفردُ عال لا شَرِيكَ له فى الخُلْدِ والمُلْكِ والتَّدْبِيرِ والقِدَمِ
تردَّدَ الوحىُ بالآيـاتِ مُنزلَةً فسُطِّرَت كَنَظِيمِ الدُّرِّ والتُّـوَمِ
جاءَ الكتابُ عجيباً فى بَلاَغَتِهِ وما حَواهُ من التَّقْنِينِ والنُّظمِ
فما اسْتَطَاعَ محاكاةً لَـهُ أَحَدٌ فالإِنْسُ والجِنُّ عانٍ إِثْرَ مُنْفَحِمِ
فى كلِّ يومٍ يُرِيك العلْم آيَتَه فاليومَ يُكْشَف ماقَدْ غابَ عن فَهِم
فيه الهدايةُ للدنْيـا وآخِرَة فيه الطريقُ إلى الإِيمـانِ والعِصَمِ
ذِكْرُ السعيرِ تَهَابُ النفسُ صورَتَه أَما الجِنانُ فَمَثْوَى كلِّ ملتَزِمِ
به الروائعُ من وعظٍ ومن قَصَصٍ فيه التأَمُّلُ فى سَبْع وَخَلْقِهِمِ
وصار يدْعُو قريشاً للهُدَى فَأَبَوْا وقابَلُوهُ بهُجْر القَوْل والصَّمَمِ
غشاوةُ العَيْنِ قد تُشْفَى وإِنْ عَمِى يَغْشَى القلوبَ لَدَاءٌ غيرُ مُنْحَسِمِ

فقِلَّةٌ آمنت والجُلُّ قد جَنحُوا إلى العَداءِ وإيذاءٍ ومُصْطَـدَم
سَرَيتَ فى اللَّيل تَطْوى البيدَ مرتَحِلًا بقدرةِ اللهِ لا بالأَيْنُـق الرُّسُم
حتى نزلَت ببيتِ القُدسِ فاجتَمَعَتْ من حولك الرُّسْلُ مِن خاش ومُؤتَمِمِ
ثم ارتفعتَ لِعَرشٍ لا يُقاربُهُ إلا محمدُ دونَ الخَلْقِ كلِّـهِمِ
وقد تَجَلَّى لك الرحمنُ وانْبَلَجَتْ من نُورهِ سُنَنُ الإِسـلامِ والذِّمَم
وعُدْتَ تَدْعُو فَزادُوا مِن عَداوَتِهِم بالضَّرْب والرَّجْم والتَّجْويعِ والوَصَمِ
وصُدَّ من آمنوا باللهِ واعتَصمُوا وأَوْعَدُوهم بِتَشْرِيدٍ وسَفْكِ دَمِ
فهاجَر القومُ تَتْرَى من دِيارِهِم يَبغُونَ يَثْرِبَ فى مَأْوَى ومُعْتَصَمِ
ماتَتْ خديجةُ والأَعمامُ وارْتَحَلُوا وأَوْحَشَت مكةٌ من بَعْدِ فَقْدِهِمِ
ولم يَعُدْ لرسولِ اللهِ من أَحَد يُجيرُه من عُتاةِ الكُفْرِ والنِّقَمِ
فدبرُوا قتلَـهُ ليلاً بِزُمْرَتِهِم فلا يكونُ لـه ثَأْرٌ لمُنْتَقِمِ
حَلَّ السُّباتُ بِهِم جَمْعاً فلم يَرَه عند الخُروجِ عُمَاةُ القَلْبِ والفَهَمِ
فى الغارِ حَلَّ مع الصِّدِّيقِ مُخْتَبِئاً ولا حقوه ببيض الهنـد والدُهُمِ
فى مَدخل الغارِ خَاطَ العنكبوتُ شَعاً وحَطَّت الوُرْقُ فى وكرٍ ولمْ تَجِمِ
أَعمَى الإِلٰه قُرَيشاً عندَ مَدْخَلِهِ وأَيقَنُوا أَنَّهُ خَاوٍ من النَّسَمِ
وأَوَّبُوا ليُعِيدُوا عنه بَحْثَهم فى كُلِّ فَجٍّ وفى الوُدْيانِ والقِمَمِ
سار الرسولُ مع الصِّدِّيقِ مُرتحِلا نحوَ المدِينةِ والأَجواءُ فى ضَرَمِ
وفى قُباءَ أَناخَ الرَّحلُ بعد ضنًى وقُوبل الرَّكبُ بالتهليلِ والنَّغَمِ
وخَطَّ فيها رسولُ اللهِ مسجِدَهَا فكان أَولَ ما يُبنى لمُؤتَمِم
وفى المدينةِ أَرسَى أَصْلَ مَسْجِدِهِ وصار يدعو لِرَبِّ الكونِ والأُمَمِ
هَوَت قلوبٌ إلى الإِسلام وانْدَفَعَت لطاعة اللهِ فى حَشْدٍ ومُزْدَحَم

وحينَ آنَ أَذَى قومٍ بما كَفَروا دعا الرسولُ إلى بدرٍ لمُنْتَقَم
هَبُّوا لحربِ قُرَيشٍ فى تِجارتِها فأفْلَتَتَ عِيرُهم من غيرِ مُلْتَحَمِ
فى يومِ بدرٍ أَهابَ الكُفْرُ فاجْتَمعُوا من كُلِّ شاكٍ بِخَطِّىٍّ وكُل كَمِى
وقال عاقلُهم لا حربَ فاتَّئِدُوا إن اللَّطِيمَةَ قد مَرَّت ولم نُضَمِ
فلم يُجِرْه أَبو جهلٍ وزُمْرَتُـه أُذْناً وشَدُّوا إلى بدرٍ بِجَمْعِهِمِ
أَلفاً بِفرسانِهم والخيـلُ مُسْرَجَةٌ والقلبُ فى ضَرَمٍ بالشَّرِ مُتَّسِمِ
والمسلمونَ ببدرٍ قلةٌ كثُرَت بِنُصْرة اللهِ والإيمانِ والهِمَمِ
وأَرسلَ اللهُ أَلفاً من ملائِكِهِ يقاتلونَ خَفاءً والوطيسُ حَمِ
فحاقَ بالكُفْرِ كلُّ الخِزْىِ إذ دُحِرُوا وفُرِّقُوا بينَ مَقْتُولٍ ومُنْهَزِمِ
وصارت العُرْبُ تَرْوِى عن هَزِيمَتِهم وصار أَمْرُهُمُ هُزْواً بِكُلِّ فمِ
فهل تَأَمَّل أَهلُ الشِّرْكِ واتَّعَظُوا وهل تَخَلَّت نُفُوس الشَّرِّ عن سَدَمِ
إنَّ الأُفاعِىَ قد تَنْدَسُّ قاتِلةً طَىَّ الجُحُورِ إذَا لم تُؤْذَ بالثَّرَمِ
فبعد حَوْل أَعادُوا جمع شَمْلِهِمْ يَبْغُونَ يَثْرِب والأَرواحُ فى حَدَمِ
وكلُّ هَمِّهم تَقْويضُ دعـوةِ مَنْ يَدعُو إلى اللهِ والأَخْلاقِ والقِيَمِ
وفى المدينةِ هبَّ المُسْلمُون إلى صَدِّ البَلِيَّةِ بالخَطِّىِّ والخُسُدُمِ
سارُوا إلى أُحُدٍ أَما الرُّماةُ فَقَد حَلُّوا بِتَلٍّ مَنِيعٍ غيرِ مُقْتَحَمِ
دَرْءاً لخالد والفرسانِ إن هَجَمُوا والسهمُ يَدْرَأُ بأْسَ الفَارِسِ القَرِمِ
محمدٌ قال لا تُخْلُوا أَماكِنَكُم وابْقُوا على التَّلِّ حتى لو أُرِيقَ دَمِى
وطاعةُ الرُّسْلِ مثل اللهِ واجِبَـةٌ لَمَّا عَصَوا كان درْساً بالغَ الأَلَمِ
سَبْعُون من أَهْلِهِم فى الدِّينِ قد قُتِلُوا حتى الرسولُ قلَم يَسْلم من الثَّلَمِ
لما رَحَى الحرب قد دَارَت لِصالِحِهِم وأَدْبَرَ الشِّركُ تحتَ الصَّارِمِ الغَلِمِ

وقد تَناثَر فوق الأَرضِ زَادُهُمُ فاتوا أماكنهم مَبْغاةَ مُقْتَسمِ
فَكَرَّ خالدُ بالفرسان فاجَأَهم والمَشركون أعادُوا جَمْعَ صَفِّهمِ
رمات حمزةُ فى أَوْجِ الوَغَىَ وَمَضَى مِنْ ضَربةِ الغَدْر لا مِن لَهْذَم البُهَم
ماشاءَ ربُّك للإسلامِ مُنْتَكَساً فالمُسلمونَ غَدَوْا كالأُسْدِ فى الأَجَمِ
تَحَصَّنُوا بسُفُوح الطَّوْدِ فامْتَنَعُوا على العَدُوِّ وَأَرْدَوْا كُلَّ مُقْتَحِمِ
وحَلَّ يأْس وإرهاقٌ بمَنْ كَفَرُوا فأَدْبَرُوا ونَجا الإسلامُ من قُحَمِ
آبت قُرَيْشُ بغَيْظٍ كادَ يَقتلها فما بَنَوْه لهَدْم الدِّين لَم يَقُمِ
واستَنْفَرُوا العُرْبَ أَدناهُم وقاصِيَهم فاستُنْفِر الجُلُّ فى مَدٍّ وفى دَعَمِ
جاؤُوا وَيَثْربُ فى قُرٍّ وفى سَغَبٍ فى كَثْرة لو دَنَت أَدَّتْ لمُخْتَتَمِ
فصَدَّهم خَنْدَقٌ عن نَيْلِ بُغْيَتِهم فأَوَّبُوا بعد شهرٍ دُون مُغْتَنَمِ
سَلْمانُ خَطَّ فهبَّ المسلمون مع النبىِّ لِلْحَفْر رغمَ الجُوعِ والحُزُمِ
قام الرسولُ مع الأَتباعِ مُعْتَمِرًا فأُوقَفتْهم قريشٌ دون قَصْدِهِمِ
وتمَّ إبرامُ صُلْحٍ فى حُدَيْبِيَةٍ فَضَجَّ صَحْبٌ وما أَخْفَوْا من البَرَمِ
إلا الرسول جَلَا المولَى بصِيرتَه فكان يُبْصِرَ فَتْحَ البَيْتِ مِن أَمَمِ
وبعد حولٍ أَتَمُّوا فرضَ عُمرتِهم وقد خَلَت مَكَّةٌ من كُلِّ ذى نَسَمِ
سعَى لخَيْبَرَ لمَّا أَن تَكَشَّفَ ما قد بَيَّتُوه لغَزوٍ شاملٍ عَرِمِ
قد جاءَ خَيْبَرَ لا حِصْنٌ ليَعصِمَه وقابَلُوه بِشُمِّ العُصمِ واُطُمِ
رَمَى به الله فانهارَت مَعاقِلُهم وشُرِّدُوا فى وِهادِ الأَرضِ والأَكَمِ
الغدرُ شِيمةُ أَهلِ الكُفْرِ مُذْ وُجِدُوا والغَدرُ أَسوأُ مافِى النَّفْسِ مِن شِيمِ
أَرْدَوْا خُزَاعةَ غَدْراً رَغْمَ حِلْفِهم مع النبىِّ فخانُوا نَصَّ عَهْدِهِمِ
هبَّ الرسولُ بجَيش جَحفَلٍ لَجب لفَتحِ مَكَّةَ فَتْحاً غَيرَ مُنْصَرِمِ

فُلَّ السِّلاحُ وما اسطاعُوا مقاوَمَةً ... من ذا يُقاومُ زَحْفَ الفَجر فى الظُّلَم
ما جاءَ مكَّةَ تَنكِيلًا بمن كَفَرُوا ... بل جاءَ للْهدى وَالغُفْرانِ والحُرَمِ
مُغْتَالُ حمزَةَ غَدرًا نَالَ مَغْفِرَةً ... وهِندُ آكلةُ الأَكبادِ لم تُسَم
حتى الغريمُ أَبو سفيانَ كَرَّمَه ... وصار منزِلُه فى الأَمْن كالحَرَم
وهشَّمُوا كلَّ مافى البيتِ من وَثَن ... فالبيتُ للهِ لا للمَسْخ والفَـدَم
بلالُ أَذَّنَ بالبيتِ العَتِيقِ وقَدْ ... أَمَّ الصلاةَ رسولُ الخَيْر والرُّحُم
وأَسْلمتْ مكَّةٌ والمسلمُونَ غَدَوْا ... فى الدين أُخْوَةَ أَهلِ الدِّين واللُّحم
أَتت حشودٌ إلى الإسلام مائِلَةً ... إلا هوازنَ لم تمثُلْ ولم ترُم
فكان يوم حُنَين بالقَنَا دُحِرُوا ... رغم الكمائِن مِنْ أَمواجِ مُلْتَطِم
حجَّ الرسولُ مع الأَتباعِ حَجَّتَه ... كانت وَدَاعاً بلا دَمْع ولا أَلَم
وكيف تَدْمَعُ عينٌ بعد أَن بَصُرَت ... بالهَدْى يَطْغَى مكان الكُفْر والعُدُم
وحلَّ يثربَ والإسلامُ مُزْدَهِرٌ ... فوقَ الجَزِيرَةِ والإيمانُ فى عَمَم
وفى تَبوكَ جَرى الرومانُ فى هَلَعٍ ... قبل اللقاءِ وصار البَهْمُ كالبُهُم
كلُّ إلى الله ماض فى مَسِيرتِهِ ... والموتُ غايةُ من يَسعَى على قَدَم
وما محمدُ بـاق إنَّه بَشَرٌ ... من قَبْلِهِ الرُّسلُ قد عادُوا لِرَبِّهم
لاقَى الإلَه وقد أَدَّى رسالَتَه ... وقام للدين صَرْحٌ غَيْرُ مُنهدِمِ
إن جئتَ مكَّةَ يَمِّمْ نحو كَعْبَتِها ... وكعبةِ الناسِ من عُرْبٍ ومن عَجَم
يكفيك أَنَّ أَبا اسماعيلَ شَيَّدَهَا ... وفجَّرَ اللهُ فيهَا وِرْدَ كُلِّ ظَمى
وطُفْ بساحَتِها لِلهِ مُبتَهِـلاً ... سَبْعاً وَهَلِّل لِذاكَ الركن والْتَثِم
واخْشَع فإن رسول اللهِ قَبَّله ... فإنْ لَثَمْتَ فذا من وارف النِّعَم
وفى المدينةِ زُر قبرَ الرسول ولا ... تمَسَّك الـدَّمْع مِن هامٍ ومُنْسَجم
هَدَاكَ مُن فى الثَّرى نهْجاً ومَوعِظَةً ... وقال هذا طريقُ الحق فاسْتَقِم
واطلبْ من اللهِ رضْوانا وَمَغْفِرَةً ... إن الخَطايَا لَدَى الرحمن كاللَّمَم
سأَلتُكَ :لعفه ربِّى إنِّى بشرٌ ... جم الذنوب وأَنتَ الواسِعُ الكَرَم

حسن على ابراهيم
عضو المجمع